صور من حسن العشرة

ألقى فضيلة الشيخ عبد البارئ بن عواض الثبيتي - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "صور من حسن العشرة"، والتي تحدَّث فيها عن حسن العشرة مع المسلمين، وبيَّن صورَ هذه العشرة مع الوالدين، والإخوة والأخوات، والأرحام والأقارب، وبين الزوجين، كما بيَّنها مع الضعفاء والفقراء والمساكين، وذوي الجاه، والسلطان، وكبار السنِّ، وغيرهم من أبناء المُجتمع المُسلم.

الخطبة الأولى

الحمد لله، الحمد لله الذي كتب لعباده المؤمنين الجنةَ دارَ الأبرار، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه في العلَن والإسرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نُقرُّ بوحدانيَّته أيَّما إقرار، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه نؤمنُ به ونُحبُّه بيقينٍ وإصرار، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وصحبِه أُولِي الفضل والإيثار.

أما بعد:

فأُوصِيكم ونفسي بتقوى الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

العِشرةُ علاقةٌ صادقةٌ، وحبٌّ مُتجرِّد، ووئامٌ قلبيٌّ، وعطاءٌ بلا حدودٍ. وأولَى الناس بحُسن العِشرة: الوالِدان، فهما سببُ وجود العبد، فحقُّهما مُؤكَّد، وبِرُّهما مُقدَّم.

حُسن عِشرة الوالِدَين ببرِّهما والإحسان إليهما، وخِدمتها بالنفس والمال، والدعاء لهما أحياءً وأمواتًا، وإكرامُ صديقِهما، قال رسولُ الله - ﷺ -: «إن أبرَّ البرِّ صِلةُ الولد أهلَ وُدِّ أبيه».

وحُسن العِشرة بين الإخوة والأخَوات، بأداء الإحسان ببعضِهم على بعضٍ، والأدبِ في القولِ والمُعامَلَة: الصغيرُيحترِمُ الكبير، والكبيرُ يرحمُ الصغير، حتى تسُودَ المحبَّةُ، وتزدادَ المودَّة، وتستقرَّ الأُلفَة، وتُظلِّلَهم السعادة، قال رسولُ الله - ﷺ -: «يدُ المُعطِي العُليا، وابدَأ بمن تعُول: أمَّك، وأباك، وأُختَك، وأخاكَ، ثم أدناكَ أدناكَ».

وحُسن العِشرة مع الأرحام والأقرِباء: بقضاء حوائجِهم، والقيام بشُؤونهم، وتفقُّد أمورهم، وكثرة السلام عليهم، وزيارتهم، قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال رسولُ الله - ﷺ -: «إن الصدقةَ على المِسكين صدقةٌ، وعلى ذي الرَّحِم اثنتَان؛ صدقةٌ وصِلة».

وحُسن العِشرة للزوجة بطِيب القول، وحُسن الفعل، والتلطُّف معها، وتوسيع النفقة، ودوامِ البِشر، ولِين الجانِب، وتلبية الرَّغَبات النفسية والعاطفيَّة، وإدخال السُّرور، قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقال رسولُ الله - ﷺ -: «خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي».

وفي حجَّة الوداع ذكَّر الرسول - ﷺ - بحقوق النساء على أزواجهن قائلاً: «ألا واستَوصُوا بالنساء خيرًا، فإنما هنَّ عوانٍ عندكم».

وحُسن عِشرة الزوج باللُّطف واللِّين، والصبر على ما قد يبدُرُ منه، وإكرام أولاده وتربيتهم، وذِكر ذلك الزوج بخيرٍ، والثناء عليه، وحِفظ حقِّ أمِّه ورعايتها، وعدم كُفران العشير.

وحُسن عِشرة الجار بالإحسان إليه، وتفقُّد أحواله، وحِفظ سرِّه، وكفِّ الأذى عنه، وعدم انتِهاك حُرُماته، وإكرامه، وتقدير أحاسيسِه ومشاعِره، قال - ﷺ -: «ما زال جبريلُ يُوصِيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيُورِّثُه».

وقال - ﷺ -: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمَنُ جارُه بوائِقَه».

وحُسن عِشرة الضعفاء والمساكين بخدمتهم بالمال والوقت والمشاعِر، يُخفِّفُ عنهم مُصابَهم، يُسلِّيهم على الفَجيعة، يصونُ وجههم عن السؤال، ويُغنيهم عن الاستِجداء، ويسُدُّ جوعتَهم، قال رسولُ الله - ﷺ -: «الساعِي على الأرملة والمِسكين كالمُجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار».

وحثَّ النبيُّ - ﷺ - على إكرام المُسنِّين وحُسن عِشرتهم؛ فعن أبي موسى الأشعري - ﷺ -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن من إجلال الله: إكرامَ ذي الشَّيبة المُسلم».

ومن إكرامهم: رعايتُهم صحيًّا، ونفسيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وتقديم الأكبر، والإنصات لهم، والتلطُّف معهم، قال النبي - ﷺ -: «إن جبريلَ أمرَني أن أُكبِّر».

وقالت عائشةُ - ﷺ -: كان رسولُ الله - ﷺ - يستنُّ، وعنده رجُلان، أحدُهما أكبرُ من الآخر، فأوحَى الله إليه في فضل السِّواك أن كبِّر، أعطِ السِّواك أكبرَهما.

ومن حُسن العِشرة - عباد الله -: إنزالُ الناس منازلهم، وإعطاؤهم حقَّهم من الاحترام والتقدير، وذِكرُ محاسنِهم وميزاتهم، وكان - ﷺ - يعرِفُ فضلَ أُولي الفضل، وقال: «ليس من أمَّتي من لم يُجِلَّ كبيرَنا، ويرحَم صغيرَنا، ويعرِف لعالِمنا حقَّه».

وحين دخلَ رسولُ الله - ﷺ - مكَّة فاتِحًا، جاء أبو سُفيان وأسلَم، فأراد النبيُّ - ﷺ - تثبيتَ إسلامه - وهو من سادات قُريش، ومثلُه يُحبُّ الفخرَ -، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «من دخلَ دارَ أبي سُفيان فهو آمِن».

وللعلماء حقٌّ على الناس، وحُسن مُعاشرتهم هديُ الإسلام؛ وذلك بحُسن الاستِماع لهم، وتقديرهم، واحترامهم، ومُجالستهم. وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا جلسُوا للنبي - ﷺ - يستمعُون إليه، كأنَّ الطيرَ على رؤوسِهم.

وصلَّى زيدُ بن ثابتٍ - ﷺ - يومًا على جنازة، فقُرِّبَت إليه بغلتُه ليركبَها، فجاء ابنُ عبَّاسٍ - ﷺ -، فأخذ بركابِها، فقال زيدٌ: خلِّ عنه يا ابنَ عمِّ رسول الله - ﷺ -. فقال ابن عباس: هكذا أُمِرنا أن نفعل بالعلماء والكُبراء.

ومن حُسن عِشرتهم: عدمُ إطلاق اللسان فيهم بالثَّلب والانتِقاص؛ فلُحومُ العلماء مسمومة، وعادةُ الله في هتكِ أستار مُنتقصِيهم معلومة، وإن من أطلقَ لسانَه في العلماء بالثَّلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب.

وحُسن العِشرة - عباد الله - مع السُّلطان بالطاعة في غير معصية الله، يدعُو له غائبًا ليُصلِحَه الله تعالى، ويُصلِح على يديه، وينصحه في جميع أمور دينه، قال النبي - ﷺ -: «الدينُ النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

ومن الناس - عباد الله - من في مُعاشرتهم شيءٌ من العنَت، وتقذِفُك سلوكيَّاتهم بلسَعاتٍ من الأذَى .. عِشرةُ هؤلاء تتطلَّبُ نوعًا من المُداراة.

فعن عائشة - ﷺ -، أن رجُلاً استأذنَ على النبي - ﷺ -، فلما رآه قال: «بئسَ أخو العشيرة، وبِئسَ ابن العشيرة»، فلما جلسَ تطلَّق النبي - ﷺ - في وجهه وانبسَطَ إليه، فلما انطلقَ الرَّجُل، قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيتَ الرجلَ قلتَ: كذا وكذا، ثم تطلَّقتَ في وجهه، وانبسَطتَ إليه، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «يا عائشة! متى عهِدتِني فحَّاشًا؟! إن شرَّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة: من تركَه الناسُ اتِّقاءَ شرِّه».

وتدومُ العِشرة، وتزدادُ رسوخًا بقضاء حوائِج الناس، ومُشاهَدة حسناتهم، وترك التقصير معهم، وزيارتهم، والسؤال عن أحوالهم، ومُواساتهم بالمال، والصبر على جفائِهم، وإسقاط التُّهمة عنهم، ومُصاحبَة كل إنسانٍ على قدر طريقته.

قال شبيبُ بن شيبةَ - رحمه الله -: "لا تُجالِس أحدًا بغير طريقه؛ فإنك إذا أردتَ لقاءَ الجاهلِ بالعلمِ، واللاهِي بالفقهِ، والعِيِّ بالبيان؛ آذيتَ جليسَك".

وتدومُ العِشرةُ - عباد الله - بالبُعد عن الخُصومة وتقديم الصُّلح على الجفاء؛ فقد رُوي عن عليِّ بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه - قوله: "أحبِب حبيبَك هونًا ما عسى أن يكون بغيضَك يومًا ما، وأبغِض بغيضَك هونًا ما عسى أن يكون حبيبَك يومًا ما".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفرُ الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الحمد لله الذي جمَّل القلوبَ بالإيمان، وزيَّن النفوسَ بالصبر والسَّلوَى، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه في الظاهر والنَّجوَى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحُسنى والصفات العُلى، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه وعدَ النصرَ والتمكينَ لمن صبرَ واتَّقَى، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبِه ومن اقتفَى.

أما بعد:

فأُوصِيكم ونفسي بتقوى الله.

ومن حُسن العِشرة: النظرُ في أحوال الأمة، وأشدُّها نِكايةً مأساةُ غزَّة في هذه الأيام .. مأساةُ القتل الجماعيّ الذي يُمارَسُ بلا هوادةٍ، وبسُلوكٍ وحشيٍّ مقيت .. استِهانةٌ بالدماء التي تسيلُ من أجساد الشيوخ، وأشلاء الأطفال والنساء، في مشهَدٍ أليمٍ تفوحُ منه رائحةُ الموت، وصُورٍ مُحزِنة، لا يُطيقُها الضميرُ الإنسانيُّ الحيُّ.

أحداثٌ تحكي عُمقَ الجريمة الإنسانيَّة، التي تصيَّدَت فيها آلةُ القتل والتدمير والخراب، كارثةٌ إنسانيَّة في شتَّى مناحِي الحياة؛ فلا ماء، ولا كهرباء، ولا دواء.

شعبٌ يُعانِي ويتألَّم، يستيقِظُ على عشرات الجُثَث، وينامُ على أصواتِ القنابل، والصواريخِ المُدمِّرة، التي لا تُفرِّق بين حجرٍ وشجرٍ وبشرٍ.

أصواتٌ تُثيرُ الرُّعب، وتُشيعُ الخوف، وتزرعُ الهلَع، تُعبِّرُ عنها صرخاتُ الأطفال، ودموعُ الثَّكالَى، وأحوالُ المُشرَّدين، وبحثُ الهارِبين عن مكانٍ يُنجيهم من الموت.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فنسألُك يا الله بأسمائِك الحُسنى وصفاتِك العُلى، اللهم إنا نسألُك يا الله بأنك أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلِد، ولم يكُن له كفوًا أحد، نسألُك يا الله أن تُنجِي المُستضعَفين في غزَّة، اللهم أنجِ المُستضعَفين في غزَّة، وانصُرهم على عدوِّك وعدوِّهم يا رب العالمين.

اللهم سدِّد رميَهم، ووحِّد صفَّهم، واجمع كلمتَهم على الحقِّ يا رب العالمين.

اللهم إنهم جِياعٌ فأطعِمهم، وحُفاةٌ فاحمِلهم، وعُراةٌ فاكسُهم، ومظلومون فانتصِر لهم، اللهم إنهم مظلومون فانتصِر لهم، اللهم إنهم مظلومون فانتصِر لهم، اللهم كُن لهم مُؤيِّدًا ونصيرًا وظهيرًا يا رب العالمين، اللهم كُن لهم مُؤيِّدًا ونصيرًا وظهيرًا يا رب العالمين، اللهم أنزِل عليهم نصرَكَ يا رب العالمين، اللهم انصُرهم على عدوِّك وعدوِّهم يا أرحم الراحمين.

اللهم مُنزِل الكتاب، مُجرِي السحاب، هازِم الأحزاب، اهزِم عدوَّك وعدوَّهم يا رب العالمين، اللهم قاتِلِ الكفرة الذين يصُدُّون عن سبيلِك ويُحارِبُون أولياءَك، اللهم قاتِلِ الكفرة الذين يصُدُّون عن سبيلِك ويُحارِبُون أولياءَك، اللهم قاتِلِ الكفرة الذين يصُدُّون عن سبيلِك ويُحارِبُون أولياءَك.

اللهم أصلِح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلِح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلِح أحوال المسلمين في كل مكان.

اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغِله بنفسِه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميع الدعاء، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغِله بنفسِه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميع الدعاء، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغِله بنفسِه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميع الدعاء.

اللهم إنا نسألُك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذُ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل.

اللهم أصلِح لنا دينَنا الذي هو عصمةُ أمرِنا، وأصلِح لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلِح لنا آخرتَنا التي فيها معادُنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كل خيرٍ، والموتَ راحةً لنا من كل شرٍّ يا رب العالمين.

اللهم أعِنَّا ولا تُعِن علينا، وانصُرنا ولا تنصُر علينا، وامكُر لنا ولا تمكُر علينا، واهدِنا ويسِّر الهُدى لنا، وانصُرنا على من بغَى علينا.

اللهم اجعلنا لك ذاكِرين، لك شاكِرين، لك مُخبتين، لك أوَّاهين مُنيبين.

اللهم تقبَّل توبتَنا، واغسِل حوبتَنا، وثبِّت حُجَّتنا، وسدِّد ألسِنَتنا، واسلُل سخيمةَ قلوبِنا.

اللهم وفِّق إمامنا ووليَّ أمرنا لما تُحبُّ وترضى، اللهم وفِّقه لهُداك، واجعل عملَه في رِضاك يا رب العالمين، ووفِّق نائبَه لما تحبُّ وترضى يا أرحم الراحمين.

اللهم وفِّق جميع ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابِك، وتحكيم شرعِك يا رب العالمين.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهم صلِّ على محمدٍ وأزواجِه وذريَّته، كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، وبارِك اللهم على محمدٍ وأزواجِه وذريَّته، كما باركتَ على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم عن خلفائِه الأربعة الراشِدين: أبي بكرٍ، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن الآلِ والصَّحبِ الكِرام، وعنَّا معهُم بعفوِك وكرمِك وإحسانِك يا أرحَمَ الرَّاحِمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا اللهَ يذكُركم، واشكُروه على نعمِه يزِدكم، ولذِكرُ الله أكبر، واللهُ يعلمُ ما تصنَعون.